مقدمة :

منذ أن أصبحت الدولة العثمانية دولة بحرية وجهت أنظارها ناحية الغرب ،حيث كان الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط مطلع القرن السادس عشر محل نزاع بين الدولة العثمانية من جهة والدول الأوربية وفرسان القديس يوحنا الموجود على مقربة من الأراضي العثمانية في جزيرة رودس من جهة أخرى، وفي وسط هذه الدول المتحاربة تحت رايات وطنية مختلفة ظهرت خلال القرن السادس عشر قوة أخرى تعمل لحسابها الخاص سواء عند المسلمين أو عند المسيحيين ، وهي تعمل مستقلة أحيانا عن هذه الدول، ولكنها كانت تنضم إليها عند الضرورة، وهذه القوة التي كان لها الدور الفعال في إزكاء الصراع البحري وهي قوة القراصنة ، وقد اشتهر منهم عند المسيحيين فرسان القديس يوحنا وعند المسلمين الإخوان عروج وخير الدين اللذان تخرج من مدرستهما الكثير من رياس البحر .

كان البحر الأبيض المتوسط يزخر بالقراصنة ،فالمسيحيون كانوا يتمركزون في رودس ثم مالطة وباليرم ...وفي بحر الأدرياتيك ، أما المسلمون فكانوا يتمركزون في فالونا ودورازو ... وطرابلس الغرب وتونس وبنزرت والجزائر، وكان النشاط الذي أبداه الرياس العثمانيون قد زاد من صعوبة الوضع وتعقيده بالنسبة للإسبان في إفريقيا وهو ما ساعد الدولة العثمانية على مد نفوذها إلى القسم الغربي من حوض المتوسط، ومنه يتضح لنا أن لطائفة رياس البحر الدور الكبير في التمكين للدولة العثمانية من السيطرة على الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، لذلك ارتأينا وضع هذه الفئة محل دراستنا والموسومة ب : "**رياس البحر ودورهم في الدولة العثمانية**".

1- دواعي اختيار الموضوع:

ومن دواعي اختيارنا لهذا الموضوع ما يلي :

1. التعرف على هذه الطائفة ودورها الفعال في تاريخ الدولة العثمانية .
2. تسليط الضوء على المكانة الدولية للامبراطورية العثمانية خلال القرن السادس عشر وهيمنتها العالمية التي أضحت عليها في هذه الفترة خاصة في حوض المتوسط ،بفضل

إسهامات رياس البحر.

3. البحث في التاريخ الحديث لما يحتويه من أحداث تستحق الوقوف عندها وإضافة الجديد لأن الكثير من جوانبه لا تزال غير مدروسة بالقدر الكافي .
4. تعد هذه الدراسة من بين المواضيع التي لا تزال تعطي الجديد حتى يومنا هذا .
5. التعرف على اهم انجازات طائفة رياس البحر خلال العهد العثماني .
6. تحفيز وتشجيع الأستاذ المشرف لنا للبحث في هذا الموضوع

2- الإطار الزماني والمكاني للدراسة:

الإطار الزماني فقد غطى موضوعنا هذا فترة الوجود العثماني في البحر الأبيض المتوسط إذ أن ظهور هذه الطائفة تزامن مع الوجود العثماني في المتوسط رغم أن بروز دور هذه الطائفة كان بشكل ملحوظ في القرن السابع عشر إلا أنه غطى فترة متأخرة للوجود العثماني في البحر الأبيض المتوسط. أما **الإطار المكاني** للبحث يندرج ضمن إيالة الجزائر نموذجا باعتبارها مركز الجهاد البحري في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط في هذه الفترة وهذا يعود بالدرجة الأولى إلى الموقع الجغرافي والاستراتيجي الممتاز .كل هذا يجعلنا نسعى جاهدين لتسليط الضوء على هذه الطائفة ولكي نصل إلى المبتغى والهدف المنشود ارتأينا طرح الإشكالية التالية :إلى أي مدى ساهمت طائفة رياس البحر في التمكين للدولة العثمانية من بسط نفوذها في الحوض الغربي للبحر المتوسط ؟

و ما مدى تأثير ذلك على البحرية العثمانية في إطار العلاقات الدولية ؟ تليها بعض التساؤلات الفرعية لفك رموز الإشكالية الرئيسية وللتوضيح أكثر التي جاءت على النحو التالي :ماهي ظروف ظهور البحرية العثمانية ؟ومن هم رياس البحر ؟ وكيف ساهموا في بناء قوة الدولة العثمانية ؟و ماذا يمثل نشاط هذه الطائفة في العالم البحري ؟ وكيف ساهم رياس البحر في بناء الأسطول البحري الجزائري و إنعاش اقتصاد إيالة الجزائر ؟

3- الدراسات السابقة :

حظي هذا الموضوع بدراسات كثيرة نذكر منها:

-أحمد صاري وآخرون، سياسة خير الدين في مواجهة المشروع الاسباني لاحتلال المغرب الأوسط، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ، تخصص تاريخ حديث ومعاصر، جامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2006م-2007م تطرقت هذه الدراسة إلى البدايات الأولى لظهور طائفة رياس البحر ودورهم في المغرب الإسلامي.

- عريبي حنان وعمار فاطمة، دور رياس البحر في البحرية الجزائرية (الرايس حميدو أنموذجا)، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، جامعة ابن خلدون، تيارت، الجزائر، 2015م-2016م . والتي بدورها تناولت موضوع رياس البحر ودورهم في البحرية الجزائرية ودراسة شخصيات كان لها دور في الريادة في قيادة الأسطول وإكساب الجزائر مكانة دولية هامة وعلى رأسها الرايس حميدو.

- صغير عبلة، الحملات الأوروبية على مدينة الجزائر أواخر العهد العثماني(1189هـ-1246هـ/1775م-1830م)، مذكرة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ المغرب العربي الحديث و المعاصر، جامعة ابن خلدون، تيارت، 2013م-2014م والتي عالجت فيه موضوع علاقات الاسطول الجزائري مع الدول الأوروبية وأهم المعارك التي خاضها الأسطول.

4- المنهج المتبع:

إن طبيعة هذا الموضوع اقتضت إتباع المنهج الوصفي الذي يتخلله بعض من التحليل والتركيب فاستعملنا المنهج الوصفي وصفنا للعديد من الأحداث البحرية ومحاولة تحليل بعض المعطيات التاريخية والمفاهيم التي وردت حول عمل ودور طائفة رياس البحر من الناحية المحلية والغربية

، وتحليل العلاقات وكذلك تحليل المعطيات والاحصائيات، أما المنهج الإحصائي فقد قمنا باستعماله من خلال بعض الجداول لتقديم صورة واضحة عن الغنائم والأسرى.

5- خطة العمل:

ولدراسة هذا الموضوع اعتمدنا خطة بحث متمثلة في مدخل لموضوع الدراسة و هو بمثابة مبحث تمهيدي تحت عنوان" **البحرية العثمانية وادوارها المختلفة"** خصصناه لإعطاء لمحة عن البحرية العثمانية في البحر المتوسط و المحيط الهندي، وظروف ظهور طائفة رياس البحر ،وثلاثة مباحث جاءت كالتالي، المبحث الاول تحت عنوان **نظرة تاريخية لطائفة رياس البحر في الدولة العثمانية** و الذي جاء فيه عرض لأربعة مطالب ، ففي المطلب الأول تعريف لطائفة رياس البحر لغة و اصطلاحا، أما المطلب الثاني حول اصول رياس البحر و كيفية تعيينهم، وفي المطلب الثالث تناولنا تنظيمات رياس البحر رياس البحر ،أما المطلب الرابع فتناولنا أبرز شخصيات رياس البحر ودورهم في أهم المعارك البحرية، ثم كان المبحث الثاني الموسوم بـ" **رياس البحر والجهاد البحري في الدولة العثمانية** ، وقد ضم هذا المبحث أربعة مطالب ، المطلب الاول فقد عالجنا من خلاله نظرة الأوربيين للعمل البحري تحدثنا فيه عن الاختلاف والتشابه الطارئ على المصطلحات ، فى حين تطرقنا في المطلب الثاني الى رؤية المدرسة التاريخية العربية لمسالة الجهاد البحري في الدولة العثمانية ، درسنا فيه نظرة الاسلام والمسلين لعملية الجهاد البحري ،اما المطلب الثالث تطرقنا الى التفسير التاريخي لمسالة الجهاد البحري ثم الادلة التاريخية و المادية على شرعيته في المطلب الرابع، أما المبحث الثالث جاء بعنوان: "**رياس البحر و الدولة العثمانية**" ركزنا فيه على "الجزائر انموذجا "باعتبارها مركزا للجهاد البحري في البحر الأبيض المتوسط والذي استعرضنا في مطلبه الأول "نشأة الأسطول الجزائري في العهد العثماني" وفي المطلب الثاني تطرقنا إلى الرياس والغنائم البحرية ،اما المطلب الثالث جاء بعنوان: "الأسرى في الجائر "والذي استعرضنا فيه الأسرى الأوربيون وكيفية التعامل معهم وعائدات افتدائهم على اقتصاد الايالة كما تناولنا الهدايا والإتاوات التي كانت تفرض

على الدول الأوروبية في المطلب الرابع ، وذيلنا الدراسة بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال الإجابة على الإشكالية الرئيسية واتبعنا الخاتمة بملاحق مكملة للموضوع تضمنت صور وخرائط ووثائق وتليها قائمة المصادر والمراجع وفي الأخير قوائم الفهارس.

6- المصادر والمراجع:

استقينا دراستنا هذه من جملة من المصادر العربية والفرنسية والمترجمة إلى الفرنسية أو العربية ومما يلاحظ أن المصادر العربية المحلية قليلة:

أ- بالعربية:

- **مذكرات خير الدين بربروس لخير الدين بربروس ترجمة: محمد دراج** وهي تمثل رواية حية لمسيرة الإخوة بربروسة حيث تظهر مسيرتهم منذ خروجهم من جزيرة ميديلي مسقط رأسهم إلى أن تمكنوا من حكم الجزائر وطرد الأسبان منها والتصدي لحملاتهم على السواحل الجزائرية ولقد تميز هذا الكتاب باللغة البسيطة السهلة ولكن لاحظنا غياب التواريخ فيها
- **مذكرات احمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر** والذي حققه أحمد التوفيق المدني وهو مصدر مهم، فقد ذكر معلومات قيمة في الفترة المدروسة.
- **المرآة لحمدان خوجة** :يعتبر حمدان خوجة من أبرز المؤرخين للفترة الحديثة حيث تناول في كتابه أهم خصائص الحكم العثماني في الجزائر وعالج ذلك بكل موضوعية ولم نلاحظ أي تحيز أو ذاتية لبني جلدته.

ب – بالفرسية :

– Diego De Haédo : Histoire Des Rois D'alger Traduite Par.De Grammont ,Adaphe Jourdan,Libraire.

تناول هذا الكتاب عن حكام الجزائر إبتداءا من عروج بربروس إلى مصطفى باشا حيث ترجم لنا لتسعة وثلاثين حاكما، كما أشار إلى تاريخ الجزائر السياسي باعتبار أنه كان سجينا في الجزائر ما بين **1578م** إلى **1581م** ، ولكن ما يعاب عليه أنه لم يتصف بالموضوعية حيث أنه لم يتمكن من

إخفاء كراهيته وحقده للعثمانيين ولم يكن منصفا لهم إلا في قضايا معدودة.

Le Perre Dan: Histoire De La Barbarie Et De Ses corsair.

تاريخ البربر وقراصنته للأب دان :مصدر مهم لتاريخ الجزائر العثمانية بالرغم من كون الكاتب رجل دين لا يمكن أن تخلو كتاباته من الصبغة الدينية إلا أنه يحتوي على معلومات قيمة فيما يخص التاريخ العام للجزائر خاصة ما تعلق منه بالنشاط البحري للجزائر ورياسها وقدم لنا الكتاب معلومات مهمة حول السفن وإعدادها والغنائم البحرية الجزائرية في القرن 17م .

7- ب- المراجع:

-المنور مروش: كتابه دراسات في تاريخ الجزائر (القرصنة ،الأساطير و الواقع)وهي دراسة قيمة وجادة وهامة ليس لموضوع البحرية وإنما تاريخ الجزائر العثماني عموما حيث تناول مواضيع متفرقة وعالجها بكل موضوعية ودقة.

-مولاي بلحميسي: تاريخ البحرية الجزائرية تناول هذا الكتاب مواضيع متعددة تخص طائفة رياس البحر ودورهم الاقتصادي وتميز بالموضوعية والدقة في كتاباته.

-ناصر الدين سعيدوني: ورقات، وكتاب النظام المالي في الجزائر 1830-1518م الذي تحدث بالتفصيل عن الوضع المالي للايالة الجزائرية ودور الجهاد البحري في إثراء اقتصاد البلاد، كما استعملنا مجموعة أخرى من المراجع والمصادر سوف يأتي ذكرها في قائمة المصادر والمراجع.

-المراجع المعربة:

-الجزائر وأوروبا لجون وولف بابتيست ترجمة: أبو القاسم سعد الله ولقد تناول طبيعة العلاقات الأوروبية من جميع النواحي سواء اقتصادية وسياسية كما أعطى لمحة عن رياس البحر من خلال قيامه بمقارنتهم بالقراصنة كما خصص جزءا للأسرى الأوروبيين بالجزائر ،ولم يتحلى بالموضوعية في بعض الأحيان فهو يمجد العمل الأوروبي ويحاول إعطائه الصيغة الشرعية.

7- صعوبات الدراسة:

لكل عمل منجز صعوبات وعراقيل تصادف أي باحث ومن بين الصعوبات التي واجهتنا نذكر:

- عدم إيجاد دراسات متخصصة في الموضوع و قلة المصادر المحلية المعالجة للموضوع أما المصادر الأجنبية أغلبها لا تتحلى بالموضوعية وفيها الكثير من الثغرات.
- بالرغم من كثرة المراجع العربية التي تتكلم عن البحرية في العهد العثماني إلا أنا مجملها لا يعطى التفاصيل الكافية، ويدرس الموضوع بسطحية.

- تضارب التواريخ والإحصائيات واختلافها في معظم الأحيان.
- صعوبة ترجمة الكتب الأجنبية المتخصصة للوصول إلى المعنى الصحيح
- صعوبة التعامل مع المصطلحات واستخلاص الحقائق التاريخية من مجموع المصادر المعتمد عليها.
- عدم التمكن من اللغات الأجنبية خاصة الاسبانية و العثمانية ما حال دون الاطلاع عليها بسهولة
- قلة المصادر المحلية التي تعالج الموضوع في حين كانت جل المصادر الأجنبية المقترنة بالسادس عشر ميلادي تفتقد للموضوعية في اغلبها و تضارب في الآراء.
- الدراسات الخاصة بموضوع رياس البحر في الدولة العثمانية عموما تكاد تكون منعدمة و ان وجدت فهي تغطي فترة زمنية محدودة خلال القرن السادس عشر كما تغطي منطقة الحوض الغربي للبحر المتوسط فقط .

وبالرغم من ذلك توفرت لنا عزيمة على إنجاز هذه الدراسة لما تولد لنا من القراءات الأولية ومحاولتنا لفهم المسألة التاريخية التي اختلفت أراء المؤرخين في تعريفهم لها.